

# حاجتنا إلى معهد أنثولوجي بجامعة فؤاد الأول للأستاذ محمد جلال عبد الحميد

الفرنسية ووصفه الشامل لبعض نواحي الحياة المصرية ، وأتينا نظرة عامة على تاريخ المؤسسات العلمية بمصر ، ثم تصفحنا بحوثها الانثنوجرافية وقسنا مجهوداتها لنفس ما قدمت من فوائد لعلم الاجتماع بوجه عام ، ولانثنوجرافية حوض النيل بوجه خاص ، وجدنا أن الجمعية الجغرافية الملكية<sup>(١)</sup> هي أسبق تلك المؤسسات إلى تحديد غايتها من حيث العمل على دراسة البيئة الجغرافية والاجتماعية بحوض النيل ، إذ قرأ في منهجها الموضوع عام ١٩١٨ : أن « الجمعية ترغب بوجه خاص في توسيع وتهذيب البحوث الانثنولوجية » :

(La Société désire étendre le champ de ses études et développer plus particulièrement les études ethnologiques<sup>(2)</sup>)

وجاء في موضع آخر من هذا المنهج أن « البيئة الجغرافية لا تدرس إلا في الحالات التي تتأثر بها طرق حياة الإنسان » :

(Nous n'étudierons le Milieu que dans la mesure où il conditionne les modes de L'existence de l'homme<sup>(3)</sup>)

ولتحقيق تلك الغاية اتبعت الجمعية الجغرافية عدة طرق ، منها القيام بعمل بحوث علمية على البيئات الجغرافية بحوض النيل والأمم والقبائل المنتشرة فوقه لتحديد سميات تلك البيئات ومعرفة اختلاف تلك القبائل والأمم من حيث الجنس والعادات والتقاليد ونوع نشاطها للمادى ، وأن تصعد الجمعية بنشر تلك البحوث وإلقاء المحاضرات التي تعالجها . يضاف إلى هذا أنها أنشأت متحفاً بدارها يضم كثيراً من أنواع الحرف والصناعات التي يمكن اعتبارها إلى حد ما من سميات البيئة المصرية ممثلة في مدينة

نعرض في هذه الكلمة الموجزة لضرورة العمل على إنشاء معهد ومتحف بكلية الآداب بجامعة فؤاد الأول يكون الغرض منها دراسة الإنسان وجميع عناصر نشاطه المادى والروحي في المجتمعات البشرية المحدودة المدنية<sup>(١)</sup> . وفي هذا المعهد يعنى بوجه خاص بدراسة سكان حوض النيل وأثر البيئة الجغرافية في حياتهم

وسنتكلم أولاً عن القدمات والأسباب التي نشأت عنها فكرة وجود معهد الأنثولوجية وملحقاته ، ثم نتقل بعد ذلك للحديث عن الطرق والوسائل والخطوات التي يمكن اتباعها للوصول إلى تحقيق فكرة وجود هذا المعهد ، صراعين في ذلك الحالات المادية والمستوى العلمى بمصر في الوقت الحاضر . وفي النهاية نعرض لبرنامج الدراسة فيه وجمع الأشياء وترتيبها بالمتحف

\*\*\*

كيف برأت البحوث الانثنولوجية بمصر

(١) المؤسسات العلمية بمصر

إذا استثنينا بحوث « جيرارد » Girard أحد أعضاء اللجنة

(١) استعمل علماء الاجتماع والأنثولوجيا اصطلاحات مثل :

« Sociétés Primitives » ، « sociétés non-civilisées » ، « Sociétés Sauvages » ، « Sociétés Archaïques » ، etc...

وهذه تسميات مختلفة تدل على الأمم والقبائل الرعيية وغيرها من سكان أفريقيا وآسيا وأمريكا وأستراليا التي ما زالت تتبع في تفكيرها وحياتها نظاماً بسيطاً خلوها من التعقيد والتنوع الذين تمتاز بهما حياة الأمم الراقية ؛ ولكننا نفضل هنا استعمال عبارة « الأمم ذات اللدنيات المحدودة » عن غيرها من العبارات السابقة ؛ وذلك لأنه لا توجد الآن أية أمة أو جماعة بشرية هما تضاد حيدهما أو اختلفت بيئاتها الجغرافية بدون مدينة ، وهذه المدينة هي بدورها خليط من مدنيت متصدة ولها تاريخ وأوضاع معينة

(١) أنشئت هذه اللجنة في عهد الخديو اسماعيل باشا بمرسوم تاريخه ١٩ مايو سنة ١٨٧٦ أنظر « الجمعية الجغرافية للملكية » دليل لغازين تأليف هنرى مونييه مصر عام ١٩٣٤

(2) Société Sultanieh de Géographie et son Programme de travail, P. 1; 1919,

(3) Idid; P. 3.

القاهرة<sup>(١)</sup> . ولها أيضاً مكتبة غنية بما فيها من كتب ومراجع تاريخية وجغرافية عامة

ولو حاولنا أن نحصى نتائج البحوث العلمية التي قامت بها الجمعية منذ نشأتها إلى اليوم لظهر لنا أن قيمة هذه النتائج محدودة، وخصوصاً إذا قيست هذه النتائج بما استفدت فيها من مجهودات في مدة خمس وسبعين سنة تقريباً . إذ أننا لم نر لها بحثاً علمياً كاملاً في أية ناحية من نواحي الحياة المصرية، أو بما له اتصال مباشر بحوض النيل . هذا إذا استثنينا بعض المقالات والفصول التي تظهر بين وقت وآخر في مطبوعاتها؛ فهي أقرب إلى أن تكون إعلانات عن موضوعات يتناولها فيما بعد علماء مختصون يسنون يدراسها دراسة علمية منظمة . ولا تزال تجهل كثيراً من الظواهر الاجتماعية والدينية والنبوية بحوض النيل . ولا تزال تجهل أيضاً كيفية تحليل تلك الظواهر وتحديد أوضاعها

وأما قسم المحاضرات بالجمعية الجغرافية فإنه لم ينهض لتحقيق الغرض الذي أنشئ من أجله، إذ لم يعمل على تنظيم إلقاء المحاضرات العلمية التي تتناول في مجملها دراسة أحد الموضوعات والمشكلات التي هي وليدة البيئة المصرية وغيرها

ولعل سبب هذا الجود للمحفوظ من جانب الجمعية الجغرافية الملكية يرجع إلى أنها هيئة لم تشرف عليها الحكومة إشرافاً فعلياً لتخصص لها العلماء وتتفق عليها الأموال اللازمة لتحقيق غرضها العلمي كما جاء في برنامجها السابق الذكر . وما دام هذا هو شأن هذه الجمعية فلا يحق لنا أن نمول عليها كثيراً وأن نحمّلها ما لا طاقة لها به من العمل على درس وتحليل البيئات الجغرافية والاجتماعية المختلفة الموجودة بحوض النيل، مع بدل الجهود في جمع وترتيب ما اشتملت عليه العناصر المادية لتلك البيئات . فضلاً عما

(١) يلاحظ أن معظم الأشياء الموجودة بمتحف الجمعية جمع من القاهرة وحدها، ومن حيث أن هناك فرقاً كبيراً بين المناطات والمعدات وغيرها من الظواهر الاجتماعية في مدينة القاهرة عنها في الريف المصري، لذلك لا يجيب أن نمول كثيراً على تلك المجموعة

يطلب إليها من العمل على المساهمة في بناء علم الأنتولوجيا مع المؤسسات العلمية في البلاد الأجنبية

### (ب) ندوة هورسه النيل العلمية<sup>(١)</sup>

حين يتجول المرء بحوض النيل من منبعه إلى مصبه، ومن شرقه إلى غربه، لا يكاد ينتقل من مكان إلى آخر دون أن يلاحظ كثيراً من التشابه تارة، ومن التباين تارة أخرى، بين البيئات الجغرافية والاجتماعية المختلفة . فمن منطقة جبال وغلبات وبحيرات في الجنوب، إلى منطقة تلال وصحار في الشمال . وكذلك نشاهد على ضفاف النيل وعلى روافده كثيراً من القبائل الزنجية عراة الأجسام مثل الأشولي وللادي والباري والشوك والدنكا وغيرهم؛ وفي مناطق أخرى نجد قبائل أفرادها نصف عراة مثل الانجستا والبرتا والتعايشة وما إليهم؛ وفي شمال السودان ومصر نجد العرب والفلاحين وهم خليط من الدم السامي والزنجي وقليل من الدم الآري . ونلاحظ أن كل تلك الجماعات البشرية تختلف كثيراً فيما بينها من حيث التكوين الاجتماعي وعناصر التفكير والشعور واللغة وطرق الحياة؛ وأن من تلك الظواهر ما هو بسيط في تكوينه، ومنها ما هو كثير التعقد والتنوع؛ ولكل من هذه الأمم تاريخ قد يكون حديثاً فيرجع إلى مائة عام<sup>(٢)</sup> أو أقل، وقد يكون قديماً فيرجع إلى آلاف السنين

هذه هي حال الأمم والقبائل التي تسكن الآن حوض النيل . أما رجل ما قبل التاريخ والجماعات التي كونها والآثار التي خلفها فوق هذا الوادي فلا زلنا نجهل حقيقة أمرها . وإن بحوث

(١) مما ساعدني على فهم هذه الحقائق تجول في جهات متعددة بحوض النيل من منطقة البحيرات إلى البر للوسط في الفترة بين عام ١٩٣٨ وعام ١٩٤١

(٢) مثل الجماعات الموجودة بجنوب اللديرية الاستوائية بالسودان (بجدة نيمول) ومقاطعة أوغندا (بجدة نوبور وموطير) وطلت عليها الآن اسم (الليكية) نسبة إلى الصاكر الوديف الذين تركوا هناك أثناء التبع للصري تلك الجهات

استخلاص العناصر الرئيسية لمدينة كل منهما مع معرفة اتصال تلك المدن ببعضها وأثر المدن الأخرى فيها ، فضلاً عما يكون لتلك البحوث من أثر واضح في توجيه المصلحين<sup>(١)</sup> الاجتماعيين والدينيين وغيرهم نحو الغاية المنشودة في جهادهم ونضالهم لرفع مستوى الشعب المادى والأدبى . وإذا تمينت أوضاع كل مدينة وحدودها بمحوض النيل سهل على أبناء هذا الوادى أن يؤمنوا بحقيقة قوميتهم

محمد مهول عبد الحير

( البقية في العدد القادم )

(١) كما أن العلوم الطبيعية مثل البيولوجيا والزيولوجيا غاية عامة تسمى إليها وهى استخلاص القوانين الرئيسية التى يمتنع بعقبتها تركيب الخلية وشروط حياتها ونموها ، وعند المبدء فى القضاء على مرض معين أو الاكثار من جنس معين أيضاً من الحيوانات أو النباتات ، فلى الأطباء وعلماء الحيوان والنبات أن يستشيروا البيولوجى والزيولوجى فى هذا الصدد ؛ كذلك يمتنع على المصلحين الاجتماعيين والدينيين وغيرهم أن يستيروا بأراء علماء الاجتماع والأنتولوجيا فيما يفتون بناءه من مثل عليا للمجتمع لأنهم أقدر على تشخيص الماء ووصف الدواء

جاك دى مرجان Jacques de Morgan ، وهنرى دى مرجان Henri de Morgan ، وفلنדרز بترى Flinders Petrie وغيرهم تدلنا على أن من الممكن عمل دراسة وافية مقارنة لآثار ما قبل التاريخ بمحوض النيل إذا تعددت البحوث وتوفرت الوثائق

من هنا يظهر جلياً ميزة الثروة العلمية الموجودة بمحوض النيل ، وأنها تفوق بكثير ما عداها من ثروات أوروبا وآسيا وأستراليا . ففى مثلاً فى أوروبا نوعاً واحداً من المدينة هى المدينة الغربية الحالية ، وفى أستراليا نوعاً واحداً من المدينة كذلك وهى « المدينة المحدودة » وهكذا ؛ ولكننا نشاهد بمحوض النيل « مدنيتان محدودتان » عند الأشولى والمادى والأدك وغيرهم ، ومدنيتان متوسطة مثل مدينة شمال السودان وريف مصر ، ومدنيتان راقية مثل المدينة المصرية القديمة . ونشاهد أيضاً أن كثيراً من معالم تلك المدن<sup>(١)</sup> لم تزل باقية على حالتها الأولى برغم ما طرأ عليها من عناصر مدنيتان أجنبية مختلفة

وإذا عثنا بدراسة تلك المدن وأسرعنا فى جمع معالمها وتحديد أوضاعها ومناطقها تهيأت فرصة طيبة لعم الاجتماع وعلم تاريخ الأديان والجغرافيا البشرية واللغات وغيرها من العلوم الاجتماعية الأخرى للاستفادة والاستزادة من الأدلة والبراهين فى توضيح نظرياتها وتنميتها تلك هى الفائدة العامة المرجوة من البحوث الأنتولوجية بمحوض النيل ؛ أما قائمتها لمصر والسودان فإنه يكون من السهل

(١) إذا استثنينا البحوث التاريخية التى قام بها علماء الآثار وغيرهم وحاولنا أن نحصى البحوث الأنتولوجية بمحوض النيل فالتا لا تظفر إلا بالقليل منها لعدم توفر اليد العاملة فى تلك الناحية ، فلم نر غير الأستاذين جورج سلجيان G. Seligman وإيفانز ريتشارد E. E. Evans Richard اللذين قاما بعدة تجارب على قبائل الزنانه والتور والشلوك والذنكا وغيرها ، ولم ين بدراسة القبائل العربية الموجودة بشمال السودان غير مستر ماك ميكل Mac Mackel وتفر قليل من كتاب العربية مثل نيم شقير . وأما قبائل النوبة بمدينتي دنقلة وأسوان وقبائل البيجة على سواحل البحر الأحمر ، وريف مصر ، فإن دراسة كل تلك الجماعات لم تزل بكرة

## « سوء تفاهم »

كتاب الأدب الخالص

بلم

بشر فارس

مجموعة أقاصيص تستهوى القارئ المستنير

بطرافة الموضوعات ولطافة المعالجة

طبع ونشر

مطبعة المعارف ومكتبتها بمصر

عن النسخة A قروش صاغ خلاف أجرة البريد